الوصايا السلفية لطلاب العلوم الشرعية

محاضرة مفرغة منقحة ومصححة ومزيد عليها

ألقيت في مسجد الفتح بصنعاء بتأريخ(٩ من شهر شعبان لعام ١٤٤١ هـ)

للشيخ الفاضل أبي عبدالرحمن ردمان بن أحمد الحبيشي

فرغها الأخ الفاضل أبو الحارث أيمن بن محمد النزيلي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

ويقول تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًاعَظِيمًا﴾[الأحزاب٧٠-٧١] .

أما بعد: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدْي هديُ محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشَرَّ الأمور مُحْدَثَاتُهَا، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

معاشر طلاب العلم نتواصى بوصايا عظيمة من تلك الوصايا:

أن الكل يعلم أن العلم الشرعي علم الكتاب والسنة من أجل وأفضل الطاعات والعبادات بل جعله الله سبحانه وتعالى قسيماً للجهاد في سبيله فقال تعالى :﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢].

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره عند تفسير هذه الآية الكريمة: ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي: القاعدون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي. ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما.

وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور انتهى كلامه رحمه الله

ثم اعلموا رحمكم الله أن للعلم فضائل كثيرة كما هو معلومٌ من نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة فمن ذلك:

١ - **من فضائل العلم أنه سببٌ للخيرية:** فقد جاء في الصحيحين من حديث مُعَاوِيَةَ، رضي الله عنه قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[(١)].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في كتاب العلم: أي: يجعله فقيهًا في دين الله - عز وجل - ، والفقه في الدين ليس المقصود به فقه الأحكام العملية المخصوصة عند أهل العلم بعلم الفقه فقط، ولكن المقصود به هو: علم التوحيد، وأصول الدين، وما يتعلق بشريعة الله - عز وجل - ولو لم يكن من نصوص الكتاب

(١) أخرجه البخاري رقم (٧١) ومسلم رقم (١٠٣٧).

والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كاملا في الحثّ على طلب علم الشريعة والفقه فيها [١] انتهى

فإذا رأيت من نفسك ذلك وأن الله جل وعلا قد وفقك لطلب العلم فاعلم أن الله جل وعلا قد أراد بك خيرا.

ولذلك يقول الإمام مالك رحمه الله: العلم خيرٌ كله.

العلم خيرٌ كله علم الكتاب والسنة جمع خيري الدنيا والآخرة.

٢-ومن فضائل العلم: أنه سببٌ عظيم من أسباب دخول الجنة.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ[٢]) .

فهذه هي طريق الجنة طريق أخذ العلم سواءً أكانت هذه الطريق حسية أو معنوية.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه الماتع جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٦):

وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول

---

[١] انظر مقدمة كتاب العلم للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

[٢] أخرجه مسلم رقم(٢٦٩٩).

العلم، مثل حفظه، ودارسته، ومذاكرته، ومطالعته، وكتابته، والتفهم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم.

وقوله: «سهل الله له به طريقا إلى الجنة» قد يراد بذلك أن الله يسهل له العلم الذي طلبه، وسلك طريقه، وييسره عليه، فإن العلم طريق موصل إلى الجنة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧]

قال بعض السلف: هل من طالب علم فيعان عليه؟ .

وقد يراد أيضا: أن الله ييسر لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله الانتفاع به والعمل بمقتضاه، فيكون سببا لهدايته ولدخول الجنة بذلك.

وقد ييسر الله لطالب العلم علوما أخر ينتفع بها، وتكون موصلة له إلى الجنة، كما قيل: من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم، وكما قيل: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[مريم:٧٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم﴾[محمد:١٧].

فإن العلم يدل على الله من أقرب الطريق إليه، فمن سلك طريقه، ولم يعرج عنه، وصل إلى الله وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها فسهلت عليه الطرق الموصلة إلى الجنة كلها في الدنيا والآخرة، فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، فهو الدليل عليه، وبه يهتدى في ظلمات الجهل والشبه والشكوك، ولهذا سمى الله كتابه نورا؛ لأنه يهتدى به في الظلمات. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ

جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين﴾[المائدة:١٥].

٣ -ومن فضائل العلم: أنه إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

فقد ثبت من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ [(١)])،

٤ - ومن فضائل العلم: أنه نورٌ لصاحبه في الدنيا و في البرزخ و يوم القيامة نورٌ

يستضيء به العبد ويعبد الله جل وعلا به على بصيرة ويجتنب الفتن والمحن بفضل الله ثم بسبب العلم قال الله تعالى:﴿أَوَمَن كانَ مَيتًا فَأَحيَيناهُ وَجَعَلنا لَهُ نورًا يَمشي بِهِ فِي النّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيسَ بِخارِجٍ مِنها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلكافِرينَ ما كانوا يَعمَلونَ﴾[الأنعام: ١٢٢].

فأنت يا طالب العلم على خيرٍ عظيم وعلى نورٍ مبين نور الكتاب والسنة فتمسك بذلك واحمد الله سبحانه وتعالى أن وفق لذلك.

٥- ومن فضائل العلم: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يرغب أحداً أن يغبط أحدا على شيءٍ من النعم إلا على نعمتين:

الأولى: طلب العلم، والعمل به.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٤٦) طبعة الرسالة وحسنه لغيره الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب رقم (٧٠)..

والثانية: التاجر الذي عنده مال يخدم به الإسلام والمسلمين هذا مغبوط على ذلك .

ففي الصحيحين من حديث عَبد اللهَّ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا [(١)]".

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُّ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ [(٢)]".

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين شرح حديث رقم (٩٩٧): قوله صلى الله عليه وسلم: لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ).

الحسد قال العلماء: إن معناه هنا هو الغبطة يعني لا شيء فيه غبطة إلا هاتين الاثنتين وذلك لأن الناس يغبط بعضهم بعضا في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة فتجد مثلا بعض الناس يغبط هذا الرجل حين أعطاه الله المال والأولاد والأهل والقصور والسيارات وما أشبه ذلك يقول هذا هو الحظ هذا هو المغتبط وما أشبه ذلك يحسد يغبط بعض الناس على ما آتاه الله من الصحة وسلامة البنيان

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٣) ومسلم رقم (٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري رقم(٧٥٢٩) ومسلم رقم (٨١٥).

وغير ذلك يغبطه على أنه له شرف وجاه في قومه إن قال سمع وإن عمل اتبع فيقول هذا هو الحظ لكن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن الذي يغبط من حصل على هذين الاثنين الأولى آتاه الله تعالى الحكمة القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار آتاه الله القرآن حفظه وفهمه وعمل به آناء الليل والنهار يقوم به يفكر ماذا قال الله عز وجل عن الصلاة فيقول أقيموا الصلاة فيقيمها ماذا قال عن الزكاة فيقول ﴿ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾[البقرة:١١٠] فيؤتيها ماذا قال عن الوالدين قال الله تعالى:﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[النساء:٣٦] وماذا قال عن صلة الأرحام:﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَاب﴾[الرعد:٢١] فيصل رحمه ماذا قال عن الجيران قال تعالى ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ ﴾[النساء:٣٦] إلى آخره فتجده يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار هذه هي الغبطة وهي الغنيمة وهي الحظ.

والثاني رجل آتاه الله المال يعني صار غنيا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار يعني في سبيل الله فيما يرضي الله عز وجل أي شيء يرضي الله ينفق ماله فيه بناء المساجد الصدقات على الفقراء إعانة المجاهدين إعانة الملهوفين وغير ذلك المهم لا يجد شيئا يقرب إلى الله إلا بذل ماله فيه ليلا ونهارا ليس ممسكا ولا مبذرا فيغلو ويزيد بل ينفقه لله وبالله وفي الله منفقا لله مستعينا به متمشيا على شرعه هذا هو الذي يغبط أما الذي عنده حظ من الدنيا يتمتع به كما تتمتع

البهيمة بالعلف ثم يذهب عنها هذا ليس محسودا ولا يحسد على ذلك لأنه تالف أو متلوف عنه لكن الذي ينفق ماله في سبيل الله فهذا هو الذي يغبط وفي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار دائما يجعل أعماله كلها مبنية على القرآن يتمشى بهدي القرآن وأنه ينبغي لمن آتاه الله المال أن يؤدي حقه ويقوم بواجبه وينفقه حيث كان إنفاقه خيرا والله الموفق انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فهنيئاً لمن وفقه الله للعلم الشرعي والعمل به، وهنيئاً لمن كان عنده مالٌ يخدم به الإسلام والمسلمين.

٦- ومن فضائل العلم الشرعي: أنه سببٌ لرفعة صاحبه في الدنيا والآخرة

قال الله عز وجل: ﴿يَرفَعِ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا مِنكُم وَالَّذينَ أوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعمَلونَ خَبيرٌ﴾[المجادلة: ١١]

ويرفع الله الرجل على قدر تمسكه بالكتاب والسنة كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومصداق ذلك ما تقدم ذكره من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ففي صحيح مسلم من طريق عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ

نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ». [(١)].

٧- ومن فضائل العلم: أنه يبقى والمال يفنى

فهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - من فقراء الصحابة حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمى عليه وأسألكم بالله هل يجري لأبي هريرة ذكر بين الناس في عصرنا أم لا ؟ نعم يجري كثيرا فيكون لأبي هريرة أجر من انتفع بأحاديثه؛ إذ العلم يبقى والمال يفنى، فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم.

٨-ومن فضائل العلم: أنه لا يُتعب صاحبه في الحراسة؛ لأنه إذا رزقك الله علمًا فمحله في القلب لا يحتاج إلى صناديق أو مفاتيح أو غيرها، هو في القلب محروس، وفي النفس محروس، وفي الوقت نفسه هو حارس لك؛ لأنه يحميك من الخطر بإذن الله - عز وجل - فالعلم يحرسك، ولكن المال أنت تحرسه تجعله في صناديق وراء الأغلاق، ومع ذلك تكون غير مطمئن عليه.

٩- أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق.

والدليل قوله تعالى:﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ﴾[آل عمران:١٨].

فهل قال: (أولو المال)؟ لا، بل قال : ﴿ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ﴾ فيكفيك فخرًا يا طالب العلم أن تكون ممن شهد الله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله - عز وجل - .

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٨١٧).

أن أهل العلم هو أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩].

فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها.

أن أهل العلم هو القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة، ويستدل لذلك بحديث معاوية – رضي الله عنه – يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ: حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ[(١)]".

وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

وقال القاضي عياض – رحمه الله – :(أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب الحديث).

وعلى كلٍ ففضائل العلم كثيرة وقد ألف في ذلك أهل العلم وكتبوا في ذلك كتبا كثيرة وإنما هذا إشارةٌ يسيرة بين يدي ما نتواصى به من بعض الوصايا مما يسره الله عزوجل في هذا الليلة المباركة:

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧١) ومسلم رقم (١٠٣٧).

مما نتواصى به :

١- إصلاح النية والإخلاص لله عز وجل في طلب العلم الشرعي :

فإن العلم عبادةٌ عظيمة يجب علينا أن نخلص فيه لله وهكذا في سائر أعمالنا وعبادتنا نخلص فيها لله جل جلاله، وأن يكون قصدنا بذلك وجه الله.

قال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى : (العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته).

قالوا : كيف ذلك ؟ (ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره).

لأن الأصل فيهم الجهل كما هو الأصل فيك، فإذا تعلمت من أجل أن ترفع الجهل عن هذه الأمة كنت من المجاهدين في سبيل الله الذين ينشرون دين الله.

إذن لا بد أن يكون هذا تنوي يا طالب العلم بهذا العلم الشرعي رفع الجهل عن نفسك وكم من المسائل التي نحتاج أن نرفع الجهل عن أنفسنا بالعلم وكذلك عن غيرنا من أبنائنا وأبناء المسلمين وعن بناتنا وعن أهلينا قدر ما نستطيع فالعلم لا يعدله شيء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه روضة المحبين (ص٢٠١):(ولو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر).

أي: لوكان له صورة حسية لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر ولكن كما سمعت لا يعرف قدر العلم إلا قليل من الناس ممن وفقهم الله.

فالناس في غفلة عظيم جداً وفي بعد عن الخير وعن الهدى وعن النور وعن الاستقامة إلا من رحم الله.

الناس في غفلة عن هذه المجالس الطيبة المباركة وخاصة عندما أن تنزل بهم الفتن والمصائب والمدلهمات والأوجاع والأمراض والأسقام يجب عليهم أن يعودوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أمثال هذه الحلق العلمية المباركة وإلى بيوت الله ليتعلموا دين الله كما كان يحصل في الزمن الأول عند أن تنزل بهم الأوجاع والأسقام والأمراض والفتن يعودون إلى كتاب الله وهم كذلك ملازمون لبيوت الله بخلاف أحوالنا اليوم فصار بعضهم ربما يغلق بيوت الله إذا نزلت به فتنة أو بلاء بدون عذر شرعي أمام الله نسأل الله السلامة والعافية والله جل وعلا يقول :﴿فَفِرّوا إِلَى اللهِ إِنّي لَكُم مِنهُ نَذيرٌ مُبينٌ﴾[الذاريات: ٥٠].

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: عند تفسير هذه الآية: فلما دعا العباد النظر لآياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه، ظاهرًا وباطنًا، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى ذكر الله فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله وقد زال عنه المرهوب، وحصل له، نهاية المراد انتهى كلامه رحمه الله، فالله أمرنا أن نفر إليه ونعود إليه بالتوبة والاستغفار، وكذلك نفر إلى الله بتعلم العلم الشرعي علم الكتاب والسنة.

وأخرج الخطيب البغدادي في كتابه رحلة أصحاب الحديث رقم (١٥): عن إبراهيمُ بنُ أدهمَ قال: إنَّ اللهَ يدفعُ البلاءَ عن هذهِ الأمةِ برحلةِ أصحابِ الحديثِ .

نعم يدفع الله البلاء عن الأمة بطلاب الحديث طلاب العلم علم الكتاب والسنة.

فينبغي أن يستشعر هذا وأن يحمد المسلم ربه أن وفقه لطلب العلم في الليل وفي النهار ولعل الله جل وعلا يدفع عنه بسبب ذلك أمراضاً وأسقاماً وأوجاعاً وفتناً عظيمة، لأنك بذلك تكون قد حفظت دين الله بالعلم الشرعي وأنت إذا حفظت دين الله وعملت به الله جل وعلا يحفظك كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم :(احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْك) رواه أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو حديث صحيح[1].

وهذه هي من أعظم الوصايا في التاريخ أعظم من الوقاية التي يأتون بها أعظم وقاية لنفسك في الدنيا والآخرة:(احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ).

إذن يجب علينا أن نخلص لله جل وعلا في طلبنا للعلم وفي سائر أعمالنا قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البيِّنة:٥]

---

[1] أخرجه أحمد (٤/ ٤٨٧) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي وشيخنا الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند مسند ابن عباس رضي الله عنهما.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرح حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله:

الإخلاص في طلب العلم يكون بأمورٍ منها :

١- أن تنوي بذلك امتثال أمر الله أن الله جل وعلا أمر بذلك قال تعالى:﴿فَاعلَم أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ وَاللهُ يَعلَمُ مُتَقَلَّبَكُم وَمَثواكُم﴾[محمد: ١٩].

٢- مما يحصل به الإخلاص في طلب العلم أن تنوي بذلك حفظ الشريعة وحفظها يكون بحفظ الآيات والأحاديث وكذلك بالكتابة كتابة العلم وكذلك بالتأليف يحفظ بذلك الدين والله قد حفظه فقال تعالى:﴿إِنّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ﴾[الحجر: ٩].وإنما هي فقط أسباب يعمل بها.

٣- أن تنوي بذلك الدفاع عن الشريعة" تنوي بالعلم الدفاع عن شريعة الله عن كتاب الله و عن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من تحريف الغالين وانتحال المبطلين، ولكن بالحكمة والرفق والموعظة الحسنة كما قال تعالى:﴿ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ﴾[النحل: ١٢٥].

٤- **كذلك أن تنوي بالعلم اتباع شريعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم** ولا يمكن أن تعرف ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم" إلا إذا تعلمت العلم الشرعي علم الكتاب والسنة إذن يجب أن نعتني جميعا بأمر النية وأن يكون هذا هو الغرض والقصد من طلب العلم الشرعي.

ولذلك **العلامة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه حلية طالب العلم يقول كلاماً ماتعاً ما معناه قال**:" فإن فقد العلم إخلاص النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شئ يحطم العلم مثل: الرياء؛ رياء شرك، أو رياء إخلاص ، ومثل التسميع؛ بأن يقول مسمعاً: علمت وحفظت ... وعليه؛ فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب؛ كحب الظهور، والتفوق على الأقران، وجعله سلماً لأغراض وأعراض، من جاه، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمدة، أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية، أفسدتها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمى نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمى الحمى انتهى كلامه رحمه الله

إذن فانتبه يا طالب العلم انتبه ولتكن نيتك لله وأبشر بالخير قال الله تعالى: ﴿ما عِندَكُم يَنفَدُ وَما عِندَ اللَّهِ باقٍ وَلَنَجزِيَنَّ الَّذينَ صَبَروا أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلونَ﴾[النحل: ٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرح حلية طالب العلم :إذن فلا بد من حماية النية من المقاصد السيئة كحب الظهور والتفوق على الأقران أو جعل هذا العلم سلماً لأغراضٍ وأعراض من مال أو جاهٍ أو تعظيمٍ أو طلب محمده أو صرف وجوه الناس إليك" انتهى بتصرف

إذن فيجب علينا أن نعتني بنياتنا جداً وسلفنا الصالح رحمهم الله كانوا يعتنون بهذا الباب جداً بجانب إصلاح النية ولهذا في كتب الحديث كتب مصطلح الحديث عند أن يذكروا آداب العالم والمتعلم أول ما يبدون به الأمر بإصلاح النية فنحتاج كلنا أن نصلح النية.

وقد كان أئمة السلف يعالجون أمر النية، ويسألون الله جل وعلا حسن النية.

وقد حُكِيَ عنهم الكثير من مثل هذا.

قال سفيان رحمه الله تعالى: ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيتي، لأنها تتقلب علي.

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد.

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: رُبَّ عمل صغير تعظمه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغره النية.

ومن جميل كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في بدائع الفوائد (١٤٩) قال:

لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار والضب والحوت فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص فَأقبل على الطمع أَولا فاذبحه بسكين الْيَأْس وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص فَإِن قلت وَمَا الَّذِي يسهّل عَليّ ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهله عَلَيْك علمك يَقِينا أَنه لَيْسَ من شَيْء يطْمع فِيهِ إِلَّا وبيد الله وَحده خزائنه لَا يملكهَا غَيره وَلَا يُؤْتى العَبْد مِنْهَا شَيْئا سواهُ وَأما ازهد فِي الثَّنَاء والمدح فيسهله عَلَيْك علمك أَنه لَيْسَ أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إِلَّا الله وَحده كَمَا قَالَ ذَلِك الْأَعرَابِي للنَّبِي إِن مدحي زين وذمي شَيْن فَقَالَ ذَلِك الله عز وَجل فازهد فِي مدح من لَا يزينك مدحه وَفِي ذمّ من لَا يشينك ذمّ وارغب فِي مدح من كل الزين فِي مدحه وكل الشين فِي ذمه وَلنْ يقدر على ذَلِك إِلَّا بِالصبرِ وَالْيَقِين فَمَتَى فقدت الصَّبْر وَالْيَقِين كنت كمن أَرَادَ السّفر فِي الْبَحْر فِي غير مركب قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُون﴾[الروم:٦٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَّمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون﴾[السجدة:٢٤]. انتهى كلامه رحمه الله

فاقصد إذن بعلمك وجه الله والدار الآخرة ولو كان حتى علمك قليلاً وأنت صادقٌ مع الله فلن يضيعك الله سبحانه تعالى.

٢- ومما نتواصى به تقوى الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية

فإنها هي العدة قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدوا فَإِنَّ خَيرَ الزّادِ التَّقوى وَاتَّقونِ يا أُولِي الأَلبابِ﴾[البقرة: ١٩٧] فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، فهي العدة، وهى مهبط الفضائل، ومتنزل المحامد، وهى مبعث القوة، ومعراج السمو، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن، فلا تفرطوا.

وهي وصية الله سبحانه وتعالى للآولين والآخرين قال الله في كتابه الكريم ﴿وَلَقَد وَصَّينَا الَّذينَ أوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم وَإِيّاكُم أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء: ١٣١].

وقال الله سبحانه وتعالى:﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَكُم فُرقانًا وَيُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغفِر لَكُم وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظيمِ﴾[الأنفال: ٢٩] .

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَجعَل لَكُم فُرقاناً﴾ أي: تفرقون به بين الحق والباطل وبين الطاعة والمعصية وبين السنة والبدعة وبين التوحيد والشرك وبين أولياء الله وأعداء الله.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَكُم فُرقانًا﴾[الأنفال: ٢٩]

قال": فَإِنَّ مَنِ اتَّقَى اللهَّ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وُفِّقَ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ نَصْرِهِ وَنَجَاتِهِ وَمَخْرَجِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَسَعَادَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَكْفِيرِ ذُنُوبِهِ -وَهُوَ مَحْوُهَا -وَغَفْرُهَا: سَتْرُهَا عَنِ النَّاسِ -سَبَبًا لِنَيْلِ ثَوَابِ اللهَّ الْجَزِيلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَّحِيم﴾[الحديد:٢٨] .

إذن يجب علينا جميعاً أن نحقق تقوى الله وهي القيام بطاعة الله واجتناب معصيته وهذا هو العلم في الحقيقة.

كما قال أبو إسحاق الألبيري رحمه الله:

فرأسُ العِلْمِ تَقْوَى اللهِ حَقّاً وَلَيْسَ بأنَ تَعَالَى أوْ رَئِسْتَا

وإنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا

إذا ما لمْ يُفِدْكَ العلمُ خَيْرًا فَخيرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

وعن عَبْدُ اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ ".

وقال الإمام أحمد رحمه الله:" أصل العلم خشية الله" أي: الخوف من الله.

قال الله في كتابه الكريم:﴿إِنَّما يَخشَى اللهَّ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ إِنَّ اللهَّ عَزيزٌ غَفورٌ﴾[فاطر: ٢٨].

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره عنده هذه الآية: فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّه﴾[البيِّنة:٨].

٣- ومما نتواصى به الحذر من الذنوب والمعاصي

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه للمعصية يعملها".

وعن وكيع رحمه الله قال: استعينوا على الحفظ بترك المعصية".

وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه الداء والدواء أنه: لما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاصي

فالعلم نورٌ والمعصية ظلام ولا شك في ذلك ولا ريب،

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:" من أحب أن يفتح الله له قلبه أو ينوره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه وترك الذنوب واجتناب المعاصي و يكون له فيما بينه

وبين الله سبحانه وتعالى خبيئةٌ من عمل" أي: يكون بينك وبين الله عمل صالح لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

قال:" فإنه إذا فعل ذلك فتح الله عليه من العلم ما يشغله عن غيره وإن في الموت لأكثر الشغل "انتهى كلامه رحمه الله

يعني نشغل أنفسنا بذكر الموت وأن الإنسان سيموت إن لم يمت اليوم فغد وإن لم فبعد غد.

وهكذا تشغل نفسك بذكر الموت وتكثر من ذكر الموت كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يذكر أصحابه بذلك فيقول لهم: (أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ الْمَوْتِ [١]).

فيستعد الإنسان للموت بطاعة الله واجتناب معصية الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى(١٤/ ١٢٥) :" والله سبحانه جعل مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى والعلم النافع كقوله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلا﴾[النساء:١٥٥] وقال: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهَّ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُون﴾[البقرة:٨٨] وقال: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُون﴾[الأنعام:١٠٩] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون﴾[الأنعام:١١٠] وقال: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

[١] أخرجه أحمد (١٣/ ٣٠١) طبعة مؤسسة الرسالة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع.

فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾[البقرة:١٠] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[الصف:٥] انتهى

فهذه عقوبات من الله سبحانه وتعالى عند أن نقترف الذنوب والمعاصي الله جل وعلا يعاقبنا بسلب الهدى عنا والعلم النافع.

وكما قال بعضهم :"ما أقبح الضلال بعد الهدى، قبيح جداً أن الإنسان يضل عن الطريق المستقيم عن الكتاب والسنة بعد أن كان على هدى وعلى بصيرة وعلى علم وعلى خير وعلى رفعة ومكانة عند الله سبحانه وتعالى إذن فيجب علينا أن نحافظ على العلم بقدر ما نستطيع بطاعة الله سبحانه وتعالى واجتناب معصية الله، وإن ألممنا بذنب وكلنا كذلك يجب علينا العودة والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى.

٤-ومما نتواصى به أن نشغل الفراغ بطلب العلم النافع

فعلينا أن نجد ونجتهد في طلب العلم ومن جد وجد ومن طلب العلى سهر الليلي لابد من الجد والاجتهاد والبذل وطالب العلم قد هيئه الله لذلك :(فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ).

فاشغل فراغك بالحفظ وبالمراجعة والبحث والتخريج وأخذ الدروس والنفع وهذه النعمة نعمه الفراغ لا يوفق لاستغلالها إلا من وفقه الله.

فقد ثبت من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ " أخرجه البخاري[1].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين حديث رقم (٩٧):

يعني أن هذين الجنسين من النعم مغبون فيهما كثير من الناس، أي مغلوب فيهما، وهما الصحة والفراغ، وذلك أن الإنسان إذا كان صحيحاً كان قادراً على ما أمره الله به أن يفعله، وكان قادراً على ما نهاه الله عنه أن يتركه لأنه صحيح البدن، منشرح الصدر، مطمئن القلب، كذلك الفراغ إذا كان عنده ما يؤويه وما يكفيه من مؤنة فهو متفرغ، فإذا كان الإنسان فارغاً صحيحاً فإنه يغبن كثيراً في هذا، لأن كثيراً من أوقاتنا تضيع بلا فائدة ونحن في صحة وعافية وفراغ، ومع ذلك تضيع علينا كثيراً، ولكننا لا نعرف هذا الغبن في الدنيا، إنما يعرف الإنسان الغبن إذا حضره أجله، وإذا كان يوم القيامة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ *لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ٩٩ _ ١٠٠]﴾ وقال عز وجل في سورة المنافقون: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[المنافقون:١٠]، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون:١١] .

---

[1] أخرجه البخاري رقم (٦٤١٢).

الواقع أن هذه الأوقات الكثيرة تذهب علينا سدىً، لا تنفع منها، ولا ننفع أحداً من عباد الله، ولا نندم على هذا إلا إذا حضر الأجل؛ يتمنى الإنسان أن يعطى فرصة ولو دقيقة واحدة لأجل أن يستعتب، ولكن لا يحصل ذلك.

ثم إن الإنسان قد لا تفوته هاتان النعمتان: الصحة والفراغ بالموت، بل قد تفوته قبل أن يموت، قد يمرض ويعجز عن القيام بما أوجب الله عليه، وقد يمرض ويكون ضيق الصدر لا يشرح صدره ويتعب، وقد ينشغل بطلب النفقة له ولعياله حتى تفوته كثير من الطاعات.

ولهذا ينبغي للإنسان العاقل أن ينتهز فرصة الصحة والفراغ بطاعة الله ـ عز وجل ـ بقدر ما يستطيع، إن كان قارئاً للقرآن فليكثر من قراءة القرآن، وإن كان لا يعرف القراءة يكثر من ذكر الله عز وجل، وإذا كان لا يمكنه؛ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو يبذل لإخوانه كل ما يستطيع من معونة وإحسان، فكل هذه خيرات كثيرة تذهب علينا سدىً، فالإنسان العاقل هو الذي ينتهز الفرص؛ فرصة الصحة، وفرصة الفراغ انتهى كلامه رحمه الله.

إذن فكثير من الناس مغبون في هذين النعمتين حصل الغبن والخسارة بعدم استغلاله لصحته ما يستغل صحته في طاعة الله عنده صحة وعافية لكنه سخرها في معصية الله خاسر مغبون كذلك عنده فراغ وجعل فراغه في معصية الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وقد ثبت عند الحاكم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ

وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ [(١)]».

هذه إمكانيات عظيمة أعطانا الله عز وجل إياها في هذه الحياة وكل إمكانية لها ضدها فالفراغ يعقبه الشغل فأنت الآن عندك فراغ استغل وقتك في طلب العلم في حفظه وكتابته ونشره والتنقيب عنه واستفد

وما أحسن ما قاله ابن الوردي رحمه الله ":

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

٥-ومما نتواصى به العمل بالعلم النافع

فقد حثنا الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على أن نعمل بالعلم وحذر سبحانه وتعالى من عدم العمل بالعلم فقال تعالى:﴿أَتَأمُرونَ النّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَونَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتلونَ الكِتابَ أَفَلا تَعقِلونَ﴾[البقرة: ٤٤].

وقال تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٦) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٣/ ١٦٨).

وقال تعالى عن شعيبٍ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَما أُريدُ أَن أُخالِفَكُم إِلى ما أَنهاكُم عَنهُ إِن أُريدُ إِلَّا الإِصلاحَ مَا استَطَعتُ وَما تَوفيقي إِلّا بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنيبُ﴾[هود: ٨٨]

وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَم يَحمِلوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أَسفارًا بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ﴾[الجمعة: ٥].

وقال تعالى :﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث ذلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ[الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

وثبت عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ[(١)]»

قال الإمام أحمد رحمه الله: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام دينارا ".

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٤١٧) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب رقم (١٢٦).

كل هذا عملا بالعلم فما أحوجنا إلى ذلك نحفظ ونعمل أو نقرأ القرآن ونعمل به يجعل الله سبحانه وتعالى في ذلك الخير والبركة.

وهذا الأعمش رحمه الله كما ذكر وكيع :أنه لم تفته تكبيرة الإحرام منذ سبعين سنة" عمل بالعلم محافظة على الصلوات في أوقاتها إقبال على الله محافظة على الفرائض وعلى الواجبات واجتنابٌ للمحرمات.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه العظيم اقتضاء العلم العمل

(١٥) قال :" وَالْعِلْمُ يُرَادُ لِلْعَمَلِ كَمَا الْعَمَلُ يُرَادُ لِلنَّجَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْعَمَلُ قَاصِرًا عَنِ الْعِلْمِ، كَانَ الْعِلْمُ كَلًّا عَلَى الْعَالِمِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ عَادَ كَلًّا، وَأَوْرَثَ ذُلًّا، وَصَارَ فِي رَقَبَةِ صَاحِبِهِ غَلًّا، قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْعِلْمُ خَادِمُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ غَايَةُ الْعِلْمِ، فَلَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ يُطْلَبْ عِلْمٌ وَلَوْلَا الْعِلْمُ لَمْ يُطْلَبْ عَمَلٌ، وَلَأَنْ أَدَعَ الْحَقَّ جَهْلًا بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدَعَهُ زُهْدًا فِيهِ، وَقَالَ سَهْلُ بْنُ مُزَاحِمٍ: الْأَمْرُ أَضْيَقُ عَلَى الْعَالِمِ مِنْ عَقْدِ التِّسْعِينَ، مَعَ أَنَّ الْجَاهِلَ لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، لَكِنَّ الْعَالِمَ أَشَدُّ عَذَابًا إِذَا تَرَكَ مَا عَلِمَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، قَالَ الشَّيْخُ: وَهَلْ أَدْرَكَ مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى إِلَّا بِإِخْلَاصِ الْمُعْتَقَدِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ انتهى كلامه

وقال شيخ الاسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧١) : بل أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فذنبه من جنس ذنب اليهود انتهى كلامه

اليهود عندهم علم ولكنهم لم يعملوا بعلمهم فهمَ المَغضوبِ عَلَيهِم.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله :"من فسد من علمائنا ففيه شبهٌ باليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبهٌ بالنصارى"

إذن فيجب علينا بقدر المستطاع أن نعمل بالعلم النافع وهذا هو المقصود الأعظم من طلب العلم أن نعمل به كلنا وأن نعبد الله على بصيرة وأن ننجو به من الفتن في الدنيا ومن الضلال و الزيغ والانحراف وكذلك ننجو به بإذن الله يوم القيامة يوم يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين وينجي الله جل وعلا المؤمنين الموحدين المخلصين الصادقين فهذا أعظم عدة نستعد بها ليوم القيامة عدة العلم النافع والعمل الصالح.

٦-ومما نتواصى به شكر المعلم والاعتراف بفضله :

و هذا من الدين وربنا يقول في كتابه الكريم: ﴿هَل جَزاءُ الإِحسانِ إِلَّا الإِحسانُ﴾[الرحمن: ٦٠].

فمن أحسن إليك يجب أن تقابل إحسانه بالإحسان إليه.

وهذه هي صفة الكرماء والفضلاء والشرفاء أن من أحسن إليهم يقابلون الإحسان بالإحسان.

وقد ثبت في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ[(١)])

وثبت عند أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ[(٢)].

هذا الحديث بوب عليه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في الجامع الصحيح بقوله "بابٌ شكر الطالب معلمه".

وبوب عليه أبو داود رحمه الله في سننه فقال: "باب شكرٌ المعروف".

قال الخطابي في معالم السنن (٤/ ١١٣): هذا الكلام يتأول على وجهين أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.

---

(١) أخرجه أحمد (٩/ ٢٦٦) البخاري في "الأدب المفرد" (٢١٦) ، وأبو داود (٥١٠٩) ، والنسائي في "المجتبى"٥/ ٨٢، وفي " الكبرى" (٢٣٤٨) ، والحاكم ١/ ٤١٢، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة رقم (٢٥٣) وشيخنا الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند.

(٢) أخرجه أحمد (١٣/ ٣٩٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (٤١٦) وشيخنا والوادعي رحمه الله في الصحيح المسند .

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر.

انتهى كلامه رحمه الله.

نعم ينبغي على الطالب أن يشكر معلمه حيث إنه فرغ نفسه وجلس من أجل أن يفيده وأن يعلمه وأن يوجه ويرشده فينبغي أن يشكر له هذا المعروف .

وما أحسن ما قيل:

إذا أفادك إنسانٌ بفائدةٍ من العلوم فلازم شكره أبدا

وقل فلان جزاه الله صالحة أفادنيه ودع عنك الكبر والحسد

قال شعبة رحمه الله " كل من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد.

يعني: هذا إنما قاله شعبة رحمه الله تواضعا أي: أتواضع له ولا أتكبر عليه ولا أحقد عليه ولا أحسد ولا سيما إذا كان بغير حق.

فنحن بعد شكر الله نشكر لمشايخنا الأئمة الأعلام الذين تعلمنا منهم العلم الشرعي علم الكتاب والسنة وعلى رأسهم شيخنا الإمام العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله و هكذا خليفته من بعده شيخنا الشيخ المحدث العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله وهكذا سائر من أفادنا من أهل السنة والجماعة ممن استفدنا منهم وما زالوا على الخير والثبات على ذلك،

نقول جزاهم الله خير من كان ميتاً منهم نسأل الله جل وعلا أن يرحمه ومن كان حياً نسأل الله جل وعلا أن يحفظه.

فكذلك أنتم في هذا المكان اعرفوا للشيخ قدره الشيخ الفاضل الخلوق محمد القيسي حفظه الله اعرفوا له قدره ومكانته ومنزلته وكذلك سائر من يعلمكم في هذه الدار استفيدوا منهم واعرفوا لهم حقهم وقدرهم واشكروا لهم.

قال العلامة السعدي رحمه الله كما في الفتاوى السعدية": وينبغي للمتعلم أن يحسن الأدب مع معلمه، ويحمد الله إذ يسر له من يعلمه من جهله، ويحييه من موته، ويوقظه من سِنَتِه، وينتهز الفرصة كل وقت في الأخذ عنه، ويكثر الدعاء له حاضراً وغائباً ... فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: « ومَن صَنَعْ إليكُمَ مَعْرُوفا فَكَافِئُوهُ، فإن لمَ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا له حتى تَرَوْا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ " وأي معروف أعظم من معروف العلم والنصح والإرشاد؟ ! فكل مسألة استفيدت عن الإنسان فما فوقها حصل بها نفع لمتعلمها وغيره فإنه معروف وحسنات تجري لصاحبها انتهى

قال العلامة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه حلية طالب العلم:

فصل: أدب الطالب مع شيخه: رعاية حرمة الشيخ:

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداء من الكتب بل لا بد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب، لتأمن من العثار والزلل، فعليك إذاً بالتحلي برعاية حرمته، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب

أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنباً الإكثار من السؤال، ولا سيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل.

ولا تناديه باسمه مجرداً، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل: يا شيخي! أو يا شيخنا! فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من غير اضطرار.

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور:٦٣] الآية.

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية: "يا فلان" أو: "يا والدي فلان" فلا يجمل بك مع شيخك.

والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة به.

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً؟ واحذر أن تمارس معه ما يضجره، ومنه ما يسميه المولدون: "حرب الأعصاب" ، بمعنى: امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل.

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر، فاستأذنه بذلك؛ فإنه أدعى لحرمته، وأملك لقلبه في محبتك والعطف علي.

إلى آخر جملة من الأدب يعرفها بالطبع كل موفق مبارك وفاء لحق شيخك في "أبوته الدينية"، أو ما تسميه بعض القوانين باسم "الرضاع الأدبى ، وتسمية بعض العلماء له "الأبوة الدينية" أليق، وتركه أنسب.

واعلم أنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون من علامات الإخفاق انتهى كلامه رحمه الله

وقال الإمام النووي رحمه الله في مقدمة كتابه المجموع(١/ ٢٤) : فصل في النهي الأكيد والوعيد الشديد لمن يؤذي أو ينتقص الفقهاء والمتفقهين والحث على إكرامهم وتعظيم حرماتهم قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢]وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[الحج:٣٠] وقال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٨٨] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب:٥٨]

وثبت في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ. الحديث [(١)]

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٢).

وروى الخطيب البغدادي عن الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما قالا: **إن لم تكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي.**

وفي كلام الشافعي: الفقهاء العاملون

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من آذى فقيها فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آذى الله تعالى عز وجل

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ[(١)]»

وفي رواية: فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ» [(٢)].

وقال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾[النور:٦٣] انتهى

انظر إلى قوله: إن لم يكن الفقهاء العاملون انتبه معي إلى كلمة عاملين لابد من فقه وعمل تطبيق وإلا

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٦٥٧).

(٢) هذه الرواية أخرجها الترمذي رقم (٢٢٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (١/ ٢٢٢)..

العلم يعود على صاحبه وبالا في الدنيا والآخرة والعياذ بالله كما سمعت تحذيرٌ شديد ممن يؤذي الصالحين والأخيار الذين هم على منهج الكتاب والسنة دعوةً وسيراً وعملاً واقتداءً وخوفاً من الله وخشيةً وعيد شديد وخطرٌ عظيم لمن يتنقصهم أو يؤذيهم .

خاتمة هذه الوصايا :

وأختم هذه الوصايا بكلام بديع للشيخ بكر أبي زيد رحمه الله في أواخر كتابه حلية طالب العلم إذا قال فيه:

لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام:

فيا طالب العلم! بارك الله فيك وفي علمك؛ اطلب العلم، واطلب العمل، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف.

ولا تكن خراجاً ولاجاً في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة،

فالإسلام كله لك جادة ومنهجاً، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام.

وأعيذك بالله أن تتصدع، فتكون نهاباً بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغلية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.

فكن طالب علم على الجادة؛ تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة، عارفاً لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم.

وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر رحمك الله أحزاباً وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب؛ تجمع الماء كدراً، وتفرقه هدراً؛ إلا من رحمه ربك، فصار على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عند علامة أهل العبودية :

العلامة الثانية: قوله: "ولم ينسبوا إلى اسم"؛ أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق.

وأيضاً؛ فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال؛ فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة؛ فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها؛ فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم؛ فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال:

الرسول. وعن طريقه؟ قال: الأتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقصده ومطلبه؟ قال: (يريدون وجهه) . وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار﴾[النور ٣٦-:٣٧]

وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: "مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربها".

واحسرتاه تقضي العمر وانصرمت .. .. ساعاته بين ذل العجز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ... ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قال: "قوله: أولئك ذخائر الله حيث كانوا"؛ ذخائر الملك: ما يخبأ عنده، ويذخره لمهماته، ولا يبذله لكل أحد؛ وكذلك ذخيرة الرجل: ما يذخره لحوائجه ومهماته.

وهؤلاء؛ لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، غير مشار إليهم، ولا متميزين برسم دون الناس، ولا منتسبين إلى اسم طريق أو مذهب أو شيخ أو زي؛ كانوا بمنزلة الذخائر المخبوءة.

وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات؛ فإن الآفات كلها تحت الرسوم والتقيد بها، ولزوم الطرق الاصطلاحية، والأوضاع المتداولة الحادثة.

هذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله، وهم لا يشعرون.

والعجب أن أهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة، والسير إلى الله، وهم – إلا الواحد بعد الواحد – المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود.

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى "السنة".

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها.

فمن الناس من يتقيد بلباس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشى غيرها، أو بزي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه.

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصددون عنه قد قيدتهم العوائد والرسوم والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة فأضحوا عنها بمعزل ومنزلتهم منها أبعد منزل فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق فإذا ذكر له الموالاة في الله والمعاداة فيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عد ذلك فضولاً وشراً وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم وعدوه غيراً عليهم فهؤلاء أبعد الناس عن الله وإن كانوا أكثر إشارة.والله أعلم.

ثم قال رحمه الله نواقض هذه الحلية:

قال: يا أخي! وقانا الله وإياكم العسرات إن كنت طرأت مثلاً من حلية طالب العلم وآدابه وعلمت بعضاً من نواقضها فاعلم أن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها:

١ـ إفشاء السر.

٢ـ ونقل الكلام من قوم إلى آخرين.

٣ـ والصلف واللسانة.

٤ـ وكثرة المزاح.

٥ـ والدخول في حديث بين اثنين.

٦ـ والحقد.

٧ـ والحسد.

٨ـ وسوء الظن.

٩ـ ومجالسة المبتدعة.

١٠ـ ونقل الخطى إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثام وأخواتها واقصر خطاك عن جميع المحرمات فإن فعلت وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة خفيف لعاب مغتاب نمام فأن لك أن تكون طالب علم يشار إليك بالبنان منعماً بالعلم والعمل.

سدد الله الخطى ومنح الجميع التقوى وحسن العاقبة في الآخرة والأولى

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فهذه بعض الوصايا التي يسرها الله عز وجل في هذه الرسالة العلمية المباركة والتي ألقيت في تلك المحاضرة وقد زدت عليها ما يسر الله.

أسأل اللّه جل وعلا أن يجعل ما قلناه وكتبناه خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بنا الإسلام والمسلمين.

نسأل اللّه جل وعلا أن يجزي الشيخ الفاضل محمد القسي خيراً على إتاحته الفرصة لنا أن نتكلم في مركزه وبين يدي إخوانه طلاب العلم أسأل اللّه أن يصرف عن بلادنا وعن سائر بلاد المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن.

نسأل اللّه أن يصرف عنا وعن المسلمين الأمراض والأسقام والأوجاع إنه على كل شيءٍ قدير وبالإجابة جدير.

اللهم اصرف عنا وعن جميع المسلمين كل سوء ومكروه، اللهم ثبتنا على الكتاب وعلى السنة حتى نلقاك يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل،اللهم اجعل هذا العمل لوجهك خالصا اللهم انفع به الإسلام والمسلمين يا اللّه يا رب العالمين.

وكتبه/أبو عبدالرحمن ردمان بن أحمد بن علي الحبيشي

اليمن إب حبيش المجمعة واتساب (٧٧٢٧٤٤٣٧٤) الموافق يوم الاثنين/ ١٦ من شهر بيع الأول لعام (١٤٤٢).